الناجون من النكبة اللبنانية:

هذا ما حدث لنا ولأحبّائنا!

محمود زيدان*

احتلّت الحربُ الإسرائيلية الأخيرة على لبنان الحيِّزَ الأكبرَ من اهتمام الرأي العامّ. كما وَضعت المثقفين، تحديداً، أمام سؤالٍ كبيرٍ ومباشر، كادوا أن ينسوه، وهو: أين هم من ثقافة المقاومة؟

سرعان ما حسمتْ هذه الحربُ نتيجتَها لصالح المقاومة في الميدان. وفكّرتُ أنّ على المثقفين ضرورةَ الخروج من الدوائر الضيِّقة والانطلاق إلى فضاءات الحدث الواسعة. فلم يعد مقبولاً أن يقف المثقفون الملتزمون في حيرةٍ بين التأييد أو المعارضة أو الحياد.

كان للأيام الأولى من الحرب وقعٌ غريبٌ عليّ؛ فقد شعرتُ بنفسي عاجزاً مهمَّشاً أرتمي خلف التلفاز أتابع الأخبارَ والتحاليلَ. غير أنّ ما كان يدلي به المحلِّلون الصهاينة هالني، ولاسيّما ذلك التزويرُ الفاضحُ للحقيقة. كنتُ أشاهد بحرقةٍ صورَ المجازر التي ارتكبها الصهاينةُ بحقّ المدنيين الذين «يستخدمهم حزبُ اللّه كدروع بشرية» ـ حسب المزاعم الصهيونية. لكنّ الإصابات التي كان يحقِّقها الصهاينةُ «دقيقة.» ولم أنسَ سيارةَ الإسعاف التي قُصفتْ في منطقة البقاع وقد أصيبتْ في وسط صليبها الأحمر؛ فهذه الصورةَ بَيّنتْ أنّ إمكانيات الإسرائيليين التدميرية فائقةُ الدقّة إنْ هم أرادوا فعلاً تجنُّبَ المدنيين!

عند لقائي أولَ الواصلين إلى صيدا، أحسستُ بأنّني أستعيد صدى أصوات اللاجئين الفلسطينيين الذين وَفَدوا إلى مخيّم عين الحلوة وغيره من المخيّمات الفلسطينية عامَ ١٩٤٨. قلتُ، في قرارة نفسي، ها هي ذي نكبةٌ أخرى! قررتُ أن أوثِّق شهادات الضحايا وذويهم، على شاكلة عملي السابق في توثيق شهادات اللاجئين الفلسطينيين من خلال أرشيف النكبة.

كنتُ أرى الحرقةَ في عيون اللاجئين الفلسطينيين، وأسمع الحشرجةَ في أصواتهم حين يَروُون مأساتَهم أو حين أسألهم لماذا غادروا قراهم.. كأنّ كلَّ واحدٍ منهم يريد أن يبرهن للعالم بأسره، وتحديداً للشعب اللبناني، أنّه لم يهربْ ولم يَبِعْ أرضَه، وإنّما المؤامراتُ اللعينةُ هي التي تكالبتْ عليه وأخرجتْه من أرضه.

وها هو التاريخُ يعيد نفسَه الآن: فقد لجأتْ عائلاتٌ جنوبيةٌ إلى مخيّمات اللاجئين الفلسطينيين، وراح هؤلاء يستمعون إلى قصص لجوئهم بألسنة إخوانهم اللبنانيين، فتهبُّ الذكرياتُ حارةً، وتشتعل العواطفُ، ويخطّ اللاجئون من هنا وهناك أسمى آيات التضامن والتفاهم.

شعرتُ براحة كبيرة أنْ خرجتُ من البيت والتصقتُ بالحدث أشارك بإسماع أصوات جراح الناجين للآخرين. وكانت هذه المقابلات. فهل مَنْ يتذكّر؟

م. ز.

بيروت

* ـ ناشط فلسطيني في مجال حقوق الإنسان

اسم الرواي	:	**محمود دكروب**
العمر	:	**٥١ سنة**
المهنة	:	**راعي ماعز**
العنوان الدائم	:	**صريفا**
العنوان الحالي	:	**المدرسة الكويتية في صيدا**
التاريخ	:	**٦ آب ٢٠٠٦**

*** أخبِرْني ماذا حصل لك؟**

ـ كنّا نائمين في بيتنا كالعادة. فجأةً، عند الساعة الثالثة والنصف صباحًا، سمعنا انفجارًا كبيرًا مدوّيًا رَوَّع كلَّ أهالي القرية بقينا يقظين. ظننتُ أنّ القصف استهدف العين. كنتُ أجهِّز نفسي للصلاة، ومن ثم لحلب الماعز مثل باقي الأيام. عندها أيضًا لمع في وجهي ضوءٌ قويّ جدّاً قلتُ لنفسي مرةً أخرى إنّها العين. صلّيتُ ثم ذهبتُ لأحلب الماعزَ كالعادة. بعد قليل جاء الخبر: «قَصَفوا بيتَ عقيل وعائلته، فقُتل هو (٤٥ عامًا) وزوجتُه (٣٥ عامًا) وابنُه (٧ سنوات) وابنتُه (٤ سنوات) » ذهبنا لنرى، وساعتَها بدأت الطائراتُ تُغيرُ فوق البيوت. كانت الطائرات، لا المدافع، تَقْصف أطرافَ القرية لكنّنا بقينا في بيوتنا نتجوّل بحذر. ثم نحَّيْنا الأطفالَ إلى أحد الملاجئ داخل الضيعة. الأربعاء عند الثالثة والنصف صباحًا، أَغارت الطائراتُ على أربعة عشر بيتًا وهَدَمَتْها بثوانٍ ومِنْ لحظتِها بدأ القصفُ على البيوت مباشرةً إسرائيل تدّعي أنّها لا تَقْصف المدنيين، لكنّها لم تقتلْ رجلاً واحدًا يرتدي بزّةً عسكرية! بعد مجزرة البيوت الأربعة عشر، قام الإسرائيليون بقصف تسعة بيوت أخرى في اليوم ذاته لكنْ بعد الظهر حين توقفت الغارات ذهبتُ أتفقّد العنزات. كنتُ في العادة أنام عند العنزات، لكنْ في ذلك اليوم أخبرني ابني (٢٥ عامًا) أنّ أمه وأخته خائفتان، وطلب منّي أن أذهب لأنام عندهما، وتطوّع أن ينام بنفسه عند العنزات.

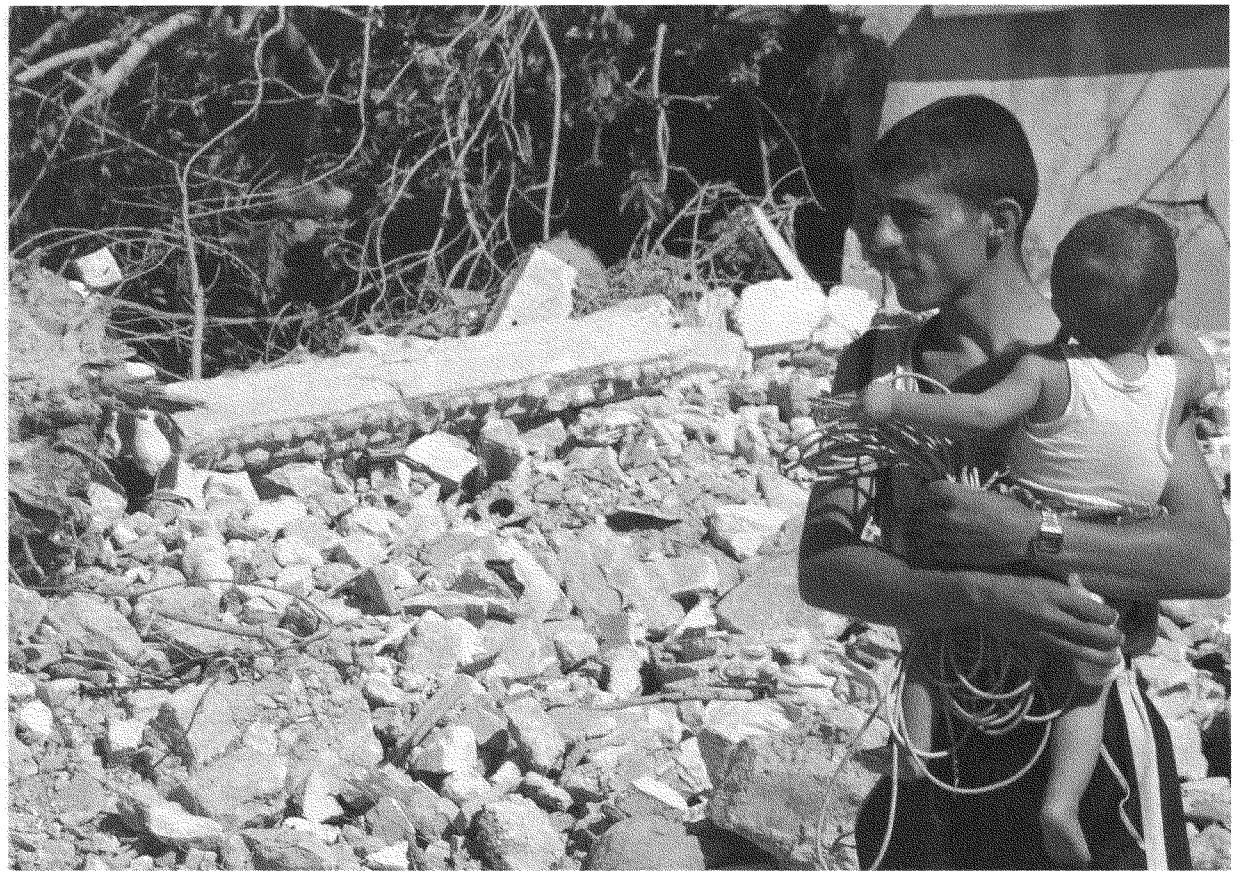

محمود زيدان

آبٌ وابنه وسط الدمار (القليْلة)

مررتُ بالبيوت في طريقي إلى الماعز، فوجدتُ كلَّ البيوت مهدّمة. وصلتُ إلى مكان الغارة، فوجدتُ المنزلَ على الأرض. ووجدتُ الماعزَ منتشرًا تحت الزيتون بعد أن وقعتْ قذيفةٌ فقتلتْ ما يقارب مئةَ رأسٍ من الماعز. كما قُتل حماران لأخي بقذيفة أخرى.

*** وماذا حصل بعد ذلك؟**

ـ كان ابني وابنُ أخي وابنُ جارنا في هذه البيوت فبدأتُ بالصراخ ثم البكاء. حاولتُ أن أفعل شيئًا. أمسكتُ بقطع الأحجار الكبيرة لأُزيلها ظانّاً أنّها باردة، لكنّها راحت تتفتّتُ بين يديَّ كالبسكويت. بعد قليل أحسستُ بحكاكٍ قاتلٍ في بطني وصدري صرتُ أصرخ أكثر وأكثر، لكنْ لا أحد يجيب. ذهبتُ إلى بيت أخي لأرى إذا كان ابني عنده، فأخبرني أنّ ابني وابنه بقيا عند الماعز.

عدنا إلى هناك وكلّما اقتربْنا من ركام المنازل لنُخْرج جثثَ أولادنا، كانت الطائراتُ تُغير علينا وتضرب حولنا اضطُررنا أن نَخْرج ونتركَ أولادَنا تحت الركام. كلُّ ما فعلناه هو أن جَمَعْنا ماعزي وماعزَ أخي في مكانٍ ما وهربنا. ولا نَعْرف ماذا حلَّ بهم.

*** هل ميَّزتَ رائحةً معينةً للقذائف؟**

ـ كانت الرائحة كريهةً جدّاً. فكما قلتُ لك، بدا جلدي وكأنّه محروق (كَشَفَ الرجلُ عن صدره وعَرَضَ عليَّ صدرَه وبطنَه وقد بدا عليهما بقايا قروح) حين شعرتُ بالحكّة، صرتُ أفرك يديَّ بالتراب. ولكنْ بعد يومَيْن امتلأت تلك الحبيْباتُ في صدري بسائلٍ أصفر، فعَرَضْتُ نفسي على الدكتور علي زين الدين، وهو متطوّع لمعالجة المهجّرين هنا في المدرسة. قال لي أنّه ليس لديه دواءٌ مناسب لهذه الحروق، لكنّه أحضر لي في اليوم التالي مرهمًا وكما ترى فقد تحسّنتُ كثيرًا بعد استعماله

*** صفْ لي موقعَ بيتك؟**

ـ نحن نسكن في حيّ البركة، في أول حيّ موسكو. جارنا وزوجة عمه وأولاده الثلاثة بقوا تحت أنقاض البيت، وكذلك ابني وأولادُ أخي

*** هل يوجد أيُّ حزبيّ في جواركم؟**

ـ لا يوجد أيُّ بيتٍ لأيّ حزبيّ في القرية كلّها

*** لماذا استُهدِفَ بيتُك في رأيك؟**

ـ لأنّ فيه مدنيين أنا أتحدّى إسرائيل، التي تَمْلك تكنولوجيا التصوير والمراقبة العاليْن الأداء، أن تَعْرض صورةً لشخص قُتِلَ في صريفا مرتديًا بزةً عسكرية! لم يكن بين الناس مَنْ يَلْبس بزّةً عسكرية. ابن ابن عمي لازال تحت الركام بكنزته الزرقاء، وابنُه الثاني بكنزته البيضاء. هل العنزة عسكرية؟ هل كانت تقاتل؟ أين الضمير؟ لا يوجد ضمير عربي ليَضْغط على إسرائيل. ليست أميركا هي التي تستطيع الضغطَ على إسرائيل، بل العرب، وتحديدًا مصر والسعودية.

*** لماذا لم تغادرْ قبل ذلك؟**

ـ أين أغادر برزقي وطرشي؟ أين أذهب؟ إسرائيل في العام ١٩٩٣ لم تَضْرب المدنيين، لكنّهم [الإسرائيليين] الآن يحذّرون الناسَ ويَطْلبون منهم الخروجَ ثم يَضْربونهم على الطريق لذلك قلنا الأفضل أن نموت في بيوتنا. أنظرْ ماذا حصل اليوم في الغازية. انتظر الإسرائيليون قدومَ الناس ليُنْقذوا جرحى الغارة الأولى، ثم قاموا بقصف المنقذين.

*** هل أنذرتْكم إسرائيل بمغادرة القرية عن طريق المناشير أو غيرها؟**

ـ كلا عند الساعة الثامنة مساءً سمعنا إذاعةَ راديو لبنان الجنوبي تَطلب من الناس المغادرة. لكنْ من يُمْكنه أن يغادر في هذا الوقت؟ وكانوا قد قَصفوا أناسًا غادروا «دير قانون النهر،» فقتلوا خمسةَ عشرَ منهم في اليوم الثاني قاموا بتحذيرنا، لكنْ كما تَعْلم لم يعد هناك سيارات في القرية قطعْنا الطريقَ سيرًا في النهر، وكانت الطائرات لا تزال تحوم فوق رؤوسنا. هل تصدّق أنّ أطفالاً في الثالثة والرابعة من العمر عَبَروا النهرَ مشيًا وساروا ٢٠ كيلومترًا سيرًا في الوديان؟

*** أخْبرني، كيف غادرتم؟**

ـ نحن رعْيان نَعْرف الطريقَ جيِّدًا. وصلنا «الزرارية،» ومن هناك وصلتْ باصاتٌ للحريري وأحضرتْنا إلى صيدا. أحضرونا هنا إلى «مجمَّع الحريري،» ولكنّه كان ممتلئًا، فعادوا وأخذونا إلى بلدية صيدا، والناس في هذه البلدية بدورهم أحضرونا إلى المدرسة الكويتية هنا

*** هل حضر الصليبُ الأحمر إلى البلدة؟**

ـ لم يأتِ أحد. وصلوا في اليوم الثاني، وأخرجوا عائلةً من العجزة.

*** هل حصل معكم شيءٌ على الطريق؟**

ـ ظلت الطائرات تلاحقنا وتَقْصف من حولنا، حتى عَبَرْنا النهر. وبعدها ظلت طائرة استطلاع (MK) تحوم فوق رؤوسنا.

❖ ❖ ❖

اسم الرواي	:	**أحمد إبراهيم هاشم**
العمر	:	**٤١ سنة**
المهنة	:	**حدّاد سيّارات**
العنوان الدائم	:	**قانا**
العنوان الحالي	:	**المركز الثقافي الفرنسي سابقًا في صيدا**
التاريخ	:	**٥ آب ٢٠٠٦**

*** ارو لنا ما حصل معك؟**

ـ كنّا نائمين. عند الساعة الواحدة صباحًا سمعنا صوتَ صاروخ قرب البيت لم نشعرْ به كثيرًا، لكنْ بعد ١٥ دقيقة سقط صاروخٌ ثانٍ صار الأطفال والنساء يصرخون ويبكون فوجئنا بأنّنا مصابون وقد غَمَرنا التراب أُصِبْتُ برجلي وظهري وعيني. زوجتي (٣١ عامًا) استُشهدت. كما استُشهد أطفالي الثلاثة (أعمارهم

سنتان، و٨ سنوات، و١٢ سنة). واستُشهد أبناء أخي الثلاثة (١٠ أشهر، و٧ أعوام، و ١١ عامًا). كما فَقَدَ أخي الثالث ابنتيْه (عامان، و٤ أعوام). كذلك استُشهد الوالد (٦٧ عامًا). ابن خالي أيضًا فَقَدَ زوجتَه وأولادَه الخمسة وأمَّه وعمَّه وأولادَه الثلاثة وابنَ أخيه. كنّا كلّنا في ذات الغرفة من الطابق الأرضي. ٥٧ شخصًا. المبنى مؤلَّف من ثلاث طبقات. نحن كنّا في الطابق الأرضي.

*** هل كان هناك أيُّ وجود لمسلَّحين حولكم؟**

ـ لا يوجد أيُّ شيء عسكري. البيت في طرف القرية، ولا يوجد منازل قربه. وزيادةً على ذلك، قام الإسرائيليون بقطع الطريق قبل ٣ أيام، فلم يَعُدْ بالإمكان استخدامُها من قِبل أحد. حتى نحن لم يَعُدْ بإمكاننا الخروج من القرية، فتجمَّعنا كلّنا في المكان ذاته.

ـ الصاروخ الذي ضَرَبَ المبنى كان من طائرة F16، وسقط على زاوية المبنى. كذلك القصف الذي استمرّ من الساعة الواحدة صباحًا حتى السادسة كان مصدرُه الطائرات. هربنا واختبَأْنا تحت أشجار الزيتون مدة ساعتين. بعد ذلك هربنا إلى بيتٍ آخر، وبقينا هناك حتى الساعة الثامنة صباحًا، حين وصل الصليب الأحمر وأخرَجَنا من القرية.

*** أين أخذكم الصليب الأحمر؟**

ـ أَخَذنا إلى مستشفى حيرام في صور، حيث بقينا يومَيْن. وبعدها أحضرونا إلى «مركز لبيب الطبي» في صيدا، حيث بقيتُ ٣ أيام.

❖ ❖ ❖

محمود زيدان

تحية لشهداء قانا

*** هل طلبتْ منكم إسرائيل مغادرةَ القرية؟**

ـ كلا.

*** لماذا لم تغادروا القريةَ حين بدأت الحرب؟**

ـ لأنّ إسرائيل كانت تَستهدف السيّارات المغادرة.

*** هل استطعتم معرفةَ مصدر القصف وأين وقع؟**

(كنتُ في المدرسة أتفقّد المهجّرين، فسمعتُ الراوي يتكلّم عن كيفية استقبال أهل المخيم له والكرم الزائدِ الذي أحاطوه به وبعائلته. في اليوم التالي سألتُ أحدَ أعضاء لجنة الاستقبال عن أوضاع الناس الذين قَدِموا إلى هذه المدرسة في المخيم، وإنْ كان بينهم مَنْ تعرَّض لإصابةٍ أو شاهَدَ مصابًا، فأخبروني عن حسين، فطلبتُ أن أقابله. إلاّ أنّ حسين رفض إجراءَ المقابلة في المدرسة لأنّه لا يريد أن يتكلم أمام زوجته

التي قُتل أخوها ولم يخبروها بذلك بعد. فكان له ما شاء. مشيْنا بعيدًا وجلسنا في العتمة على ضوءِ شمعة، وأجرينا المقابلة ـ م. ز.)

اسم الرواي	:	حسين محمد عامر
العمر	:	٢٨ سنة
المهنة	:	ميكانيكي سيارات
العنوان الدائم	:	القليْلة
العنوان الحالي	:	مدرسة المنطار / الأونروا في مخيم عين الحلوة
التاريخ	:	١٤ آب ٢٠٠٦

*** أخبرني ماذا حصل من البداية؟**

ـ كنّا في البيت نسمع الأخبار عن عملية اختطاف الحزب للجنديْن. قلتُ لزوجتي: «قلبي يحسّني أنّ شيئًا ما سيَحْصل!» على الفور بدأتْ إسرائيل بالقصف. عندها اتفقنا على ترك البيت واللجوء إلى منزل خالي لأنّ بيتنا غيرُ محصَّن وهو في الواجهة. في اليوم الأول كان القصف على أطراف البلدة. خفنا كثيرًا. كنّا خمسَ عائلات في المنزل، إلاّ أنّ أهل زوجتي وعمّي وأفراد عائلته تركونا وتوجَّهوا إلى صور. بقيتُ أنا وزوجتي وأخو زوجتي في المبنى إلى اليوم الثاني.

لكنْ في اليوم الثاني تأزّم الوضع أكثر: صار الإسرائيليون يقصفون على البلد مباشرةً؛ وأغارت الطائرات على مبنى من ثلاث طبقات في وسط القرية ودمّرتْه بالتمام. عندها طلبتُ إلى أخي زوجتي أن يأخذها إلى صور، فأبقى أنا في القرية، وفي حال تأزّم الوضع أكثر ألحقُ بهم ببعض الملابس والحاجات من البيت. ذهبتْ زوجتي وشقيقُها إلى صور، إلاّ أنّ شقيقَها عاد إلى القرية ليبقى معي. بقينا في مستودع يَمْلكه خالي، وهو أشبه بالملجأ، أربعةَ أيام. في اليوم الخامس، قُصِفَ منزلنا. ذهبتُ لألقي نظرةً، فوجدتُه مدمّرًا بالتمام، بمستوى الأرض. حاولتُ إخراجَ شيء منه، فلم أستطع؛ كلّ المنزل مسوّى بالأرض. قلتُ لابن عمي: «الوضع تأزّم ولازم نغادر. فلننزلْ إلى صور» وافقني ورافقتْنا عائلةٌ أخرى من البلدة قررتْ هي أيضًا الهروبَ إلى صور. لكنْ في الطريق عند مَفْرق قانا أغارت علينا طائرةٌ وأطلقتْ صاروخًا أصاب مؤخّرة السيارة، فاستُشهد ابن عمي (٢٥ عامًا) على الفور.

(غصّ الراوي بالبكاء مدةً تزيد عن عشر دقائق. أَوقفتُ المقابلةَ ورحتُ أواسيه. ثم أَسَرَّ لي بأنّه يريد أن يبكي منذ أيام، إلا أنّه لا يجد المكانَ والزمانَ اللذيْن يستطيع أن يُطْلق فيهما العنانَ لحزنه بالخروج بعيدًا عن زوجته وأهلها كي لا يُعْلمهم).

بعد أن أصابنا الصاروخُ بخمس عشرة دقيقة، وصلتْ سيارةُ الإسعاف ونقلتْنا إلى صور. هناك طلبنا من الصحافيين ومن التلفزيون ألاّ يذيعوا اسمَ ابن عمي، ثم دفنّاه مع الشهداء ولم نُخْبر أهلَه ولا زوجتي. بعد ذلك التحقتُ بزوجتي وأمِّها في صور في «مدرسة الحاجة مريم» في البصّ. بقينا أيامًا لم ينظر إلينا أحد. لم يعطِنا أحد شيئًا ننام عليه. وحين عرف أهلُ مخيم البصّ بحالنا جَلَبوا لنا الفرشَ والأغطيةَ من بيوتهم، ولم يوفِّروا شيئًا قد نحتاجه. بعد ذلك هاتفتُ معلِّمي في العمل، وحين عرف أنّي أقيم في مدرسة في المخيم، عرض عليّ أن أسكن معه في شقته ففعلتُ. لكنْ بعد يوميْن قَصَفت الطائراتُ مبنًى مجاورًا، فاستقلّ معلِّمي سيارتَه وغادر المدينة. لم يكن بوسعنا أن نغادر معه، فقد كنّا قرابة العشرين. قلتُ له سألحق بك. بعد ١٥ دقيقة مشينا إلى دوّار البصّ. لم يكن معنا أجرةُ تاكسي. صرتُ أبحث علّي أجد أحدًا يأخذنا مجّانًا إلى صيدا، فلم أجد. وجدتُ سائق تاكسي طَلَبَ منّي ٢٥٠ ألف ليرة لبنانية، ثم آخرَ طلب ١٠٠ دولار أميركي، وثالثًا... قلنا لهم: «ليس معنا مال. أوصلونا هناك واعملوا معنا عملاً إنسانيّاً.» سمعني رجل كان يقف خلفي، فناولني ١٠٠ دولار وقال: «خُذْ عائلتك إلى صيدا، ثم سامحني.» لم يقبلْ أنْ يعطيني اسمَه لكي أعيدَ له المال في المستقبل.

توجَّهْنا إلى صيدا في التاكسي إلى أن وصلْنا إلى البلدية، حيث تمّ تسجيلُنا. بقينا هناك ثلاثَ ساعات، لم ينظرْ إلينا خلالَها أحد. بعد ذلك وقفْنا أمام ساحة النجمة. اقترب منّا سائقُ تاكسي أثار منظرُنا شفقتَه، فسألنا من أين أنتم؟ قلنا من الجنوب. سألنا إلى أين تريدون الذهاب؟ قلنا له لا نعرف، فأحضَرَنا إلى مخيّم عين الحلوة، وتبيَّن لنا فيما بعد أنّه فلسطيني. خالة زوجتي متزوِّجة في المخيم، لكنّنا لم نزرها في حياتنا، ولم يَحْصل أنْ زرنا مخيَّمًا. كنّا خائفين من الدخول، ولكنْ حين دَخَلنا لم نصدِّقْ ما شاهدناه. الذي يأتي هنا إلى مخيم عين الحلوة عيب أن يقول أنّه لاجئ: فالناس هنا تعتذر منّا. يقولون لنا «هذه بيوتكم ونحن ضيوف عندكم.» لا أستطيع أن أصف ما فعلوه معنا. لقد ذهبتُ إلى أقاربي في صيدا في مراكز الحريري والبلدية، وقلتُ لهم أن يأتوا إلى مخيم عين الحلوة، بعد أن قارنتُ بين ما يحصلون عليه وما نحصل عليه، وبين الأوضاع التي يعيشون فيها والتي نعيش فيها. كل شيء مختلف.. مختلف حتى عمّا كنّا نسمعه.

*** قل لي لماذا برأيك استُهْدِفتم في القصف؟**

ـ إسرائيل لا توفِّر المدنيين، وهي تقصد إيذاءَ المدنيين.

*** هل أصيب أحد آخر أمامك؟**

ـ أصيبتْ سيارةُ «مازدا» كانت خلفنا، واستُشهدتْ فيها امرأة.

*** هل قُصفتْ أماكنُ عامةٌ في القرية، كجامع أو مدرسة أو غير ذلك؟**

ـ نعم قُصفت الحسينية ومبنى البلدية و٤ محوِّلات كهربائية تزوِّد القريةَ بالطاقة.

*** هل لاحظتَ شيئًا مميّزًا في القذائف التي كانت تَسْقط على القرية؟**

ـ كان يميّزها الرائحةُ الكريهةُ. بعد الدخان كنّا نشعر أنّ هناك رائحةً كريهةً جداً جداً، تكاد تخنقنا. هذا شيء غريب لم نعهده.

*** هل حضر أحدٌ لنجدتكم، من سيارات إسعاف أو دفاع مدني؟**

ـ جاء الدفاع المدني يتفقّد القرية أول أيام القصف فقط

*** هل أنذرتكم إسرائيل وطلبتْ إليكم مغادرة القرية؟**

ـ لا لم تفعل

❖ ❖ ❖

*** أخبِرْني ماذا حصل لك من البداية؟**

ـ كنّا نائمين في البيت، وكانت الطائراتُ تُغير فوق بيوتنا كلَّ الليل. هدموا خمسةَ منازل حولنا، فلم يعد بإمكاننا البقاء في المنزل. لم نعرفْ طعمَ النوم خلال الأيام الستة التي قضيناها هناك. قرّرنا أن نغادر القرية. وصلْنا إلى صيدا، ثم قرّرنا أن نُكْمل من هناك إلى بيروت حين وصلنا إلى جسر الرميلة (على بعد ٣ كلم من صيدا) أغارت الطائرةُ على سيارتي. الصاروخ الأول وقع بعيدًا عنّي مسافة ٢٠ مترًا، لكنّ الشظايا تطايرتْ علينا، والدخان ملأ المكان. أوقفتُ سيارتي ثم انتظرتُ، وكانت أمامي سيارةٌ أخرى لم يكن بإمكاننا الرؤية بسبب كثافة الدخان والغبار. كانت معي زوجتي وابني (٨ اشهر)

محمود زيدان

يقرأ القرآن على روح عائلة شلهوب في قانا

اسم الرواي	:	**حسين علي سويدان**
العمر	:	**٣٨ سنة**
المهنة	:	**سائق باص مدرسة**
العنوان الدائم	:	**القليْلة**
العنوان الحالي	:	**مدرسة شهداء فلسطين ـ الأونروا ـ صيدا**
التاريخ	:	**٦ آب ٢٠٠٦**

أغارت الطائرة مرةً أخرى، فأُصبت ثم وجدتُ ابني في المقعد الخلفي من شدة ضغط الصاروخ. كدنا نختنق من الدخان فتحتُ بابَ السيارة وركضتُ بعيدًا مسافةَ ١٥ مترًا، ثم عدتُ ودخلتُ السيارة. أدرتُها بسرعة وانطلقتُ مسرعًا إلى مستشفى حمّود في صيدا. أجروْا لي عمليةً جراحيةً هناك استغرقتْ أكثرَ من ساعة ونصف الساعة حتى تمكّنوا من إزالة الشظية من رأسي. لقد تكسّر زجاجُ السيارة. (يملك الراوي سيارة BMW،

موديل ١٩٩٩، وقد شاهدتُها متوقّفةً وآثارُ الإصابة باديةً بوضوح.

*** هل أصيب أحدٌ آخر معك، أو شاهدتَ أحدًا أصيبَ أمامك؟**

ـ أجل، كان أمامنا سيارة مرسيدس (أمّ عيون)، وسيارةٌ أخرى مات فيها ٨ أشخاص. لا ذنب لهم، كانوا مثلنا هاربين من الخوف

*** ما هي المدة التي فَصَلَتْ بين الغارة الأولى والثانية؟**

ـ دقيقتان. بعد ذلك قصفوا جسرًا أمامنا

*** برأيك، لماذا تمّ استهدافُكم؟**

ـ إنّه استهدافٌ عادي للمدنيين أنا أظنّ أنّهم حتى حين يستهدفون الجسور، فإنّها ليست وحدَها المقصودة. وإسرائيل ليست بريئة؛ فهي تَقْصف الجسورَ والناس الذين عليها. لو أرادوا لانتظروا مرورَ السيارات والناس ثم قصفوها، لكنَّهم يريدون قتلَ الناس ايضًا.

*** لماذا غادرتَ بلدتك؟ هل تلقَّيْت إنذارًا بذلك؟**

ـ أبدًا. لم نستطع تحمُّلَ الوضع، فهربنا تحت القصف، والخوفُ يملأ قلوبَنا.

*** هل حضر أحدٌ لإجلائكم، كالصليب الأحمر أو الدفاع المدني؟**

ـ لا أبدًا. لم أشاهد في القرية سوى صحفيين ومراسلي تلفزيون. لكنَّهم غادروا سريعًا.

*** ما هي المواقع التي أُصيبتْ في القرية؟ جوامع أو مراكز أخرى؟**

ـ لا شيء سوى المنازل.

*** لماذا قُصفتْ هذه المنازل برأيك؟**

ـ لا أعرف. هذه بيوت تعود إلى مدنيين. حتى إنّ بعض هذه البيوت فارغة لأنّ أصحابها هربوا إلى بيروت في الأيام الأولى للحرب. بيت ابن خالي قُصِفَ وهو خارجه، والطائرة استهدفتْهم على طريق قانا، فقُتلتْ زوجتُه (٣٢ سنة) في السيارة قرب محطة صفيّ الدين

❖ ❖ ❖

اسم الرواي : **لبيب لبيب أبو ظهر**
المهنة : **رئيس مجلس إدارة المستشفى**
العنوان الحالي : **مركز لبيب الطبي/ صيدا**
التاريخ : **٧ آب ٢٠٠٦**

(بعد أن تكرَّر في شهادات الرواة حضورُهم إلى «مركز لبيب الطبي،» قررتُ أن أُجري مقابلةً مع أحد الأطباء للاستماع إلى آراء الأطباء حول استخدام الإسرائيليين أيّةَ أسلحة «محظورة.» ولتأكيد المعلومات من أكثر من مصدر، ذهبتُ بعد ذلك إلى مستشفى آخر، وهو «مركز الجنوب للقلب المفتوح» بإدارة الدكتور بشير شام، لكون هذا المستشفى أقربَ إلى الجنوب ولأنّه يمكن أن يكون قد استقبل حالاتٍ معيّنةً قبل وصولها إلى «مستشفى لبيب» في قلب مدينة صيدا ـ م. ز.)

*** سمعنا أنّ المستشفى استقبل بعضَ الإصابات من الجنوب. هل يمكن أن تُخبرنا عن المشاهدات أو الملاحظات غير العادية التي أمكنكم تسجيلُها؟**

ـ نعم، هناك ملاحظتان أساسيتان اشتركتْ فيهما كلُّ الإصابات تقريبًا أولاً، أنّ كلّ الإصابات تعرّضتْ للحرق دون وجود شظايا. ثانيًا، ما ظهر من الجلد هو المحروق، فالمحجَّبات، مثلاً، احترق منهنّ الوجهُ والكفّان، أما الملابسُ والحجابُ فلم يصبها شيء... علمًا أنّ الحروق العادية أولاً تُحْرق الملابس، فتحرق ما تحتها. أكثرُ ما لفت نظري هو الحروق من دون وجود أيّ شظايا هناك بعض الإصابات التي حصلتْ بسبب الشظايا وتعرّضتْ لحروق بالغة. حتى هذه كانت غريبة، لأنّني لم أر حروقًا بالغةً مثلها

*** ما هي نسبةُ الإصابات هذه؟**

ـ عادةً نستقبل الجرحى بعد أن تتمّ «تصفيتُهم» أيْ توزيعُهم على المستشفيات في الجنوب كـ «مستشفى جبل عامل» وغيرها لكنّنا استقبلنا فوق عشر إصابات من هذا النوع. وكنّا نعاني نقصًا في موادّ وأدويةِ معالجةِ الحروق.

*** ما هي نسبةُ المدنيين من المصابين؟**

ـ كلُّهم مدنيون.

*** هل هناك معدّل للأعمار أو نسبة من الاطفال؟**

ـ ٢٢٪ منهم أطفال، تحت الخامسة عشرة.

❖ ❖ ❖

اسم الرواي : **د. بشير شام و د. علي منصور**
المهنة : **إدارة «مجمّع الجنوب للقلب المفتوح»**
العنوان الحالي : **مجمع الجنوب للقلب المفتوح، صيدا، قرب المدينة الصناعية القديمة**
التاريخ : **٧ آب ٢٠٠٦**

*** ماذا لاحظتما على الجرحى الذين عالجتماهم؟**

ـ د شام: قبل أن نستقبل أيّ مريض، لاحظتُ من على شاشة التلفاز حين عَرضوا جثثَ مجزرة «دوير» أنّها غريبة. كانت الجثث سوداء، ولم تكن هناك إصاباتٌ مميتة وتكرّرت الملاحظاتُ ذاتُها حين شاهدنا مجزرةَ «مروحين» يوم ١٧ تموز، قَصَفَ الإسرائيليون جسرَ الرميْلة، وعلى أثرها وصلتنا أولُ جثة عند الساعة الواحدة ظهرًا حين رأيتُها، كانت سوداءَ كالفحم كان المشهدُ غريبًا فالجثة سوداء لكنّها غير محترقة! حتى الشعرُ كان مايزال على الرأس

غيرَ محترق. والرموش والشاربان واللحية كذلك كلُّها غير محترقة. والملابس كانت لاتزال على ما هي إلاّ أنّ الجلد كان أسودَ كالفحم. بعد ذلك، وبين الساعة الواحدة والسادسة، وصلتْنا ٨ جثث أخرى من الموقع ذاته وتشترك في الصفاتِ التي ذكرتُها. كان من بينها امرأةٌ، شعرُها طويل ولم يكن محترقًا. كذلك كان الحال مع ثلاثة أطفال أعمارُهم بين الخامسة والثالثة عشرة.

د. علي: أنا كنتُ أتسلَّم الجثث وأضعها في الثلاجة كانت تنبعث منها رائحةٌ كريهة. كانت الرائحة تُشْبه الأسيدَ (الحامض) في تلك الليلة لم أستطع النوم، وأصابني ضيق في التنفُّس. عندئذ أدركنا أنّ هؤلاء الضحايا تعرَّضوا لموتٍ غيرِ عادي، غيرِ ناتجٍ عن أيّ جرحٍ أو شظية.

الدكتور شام، كان الشعرُ لا يزال على جلد الجثة، ولم يكن هناك أيُّ شيء تحت الجلد؛ العضلُ مكانه، وغيرُ ممزّق، ولا يوجد أيُّ آثارٍ لنزيفٍ داخلي أو ما شابه. وهذا بحدّ ذاته غريبٌ لأنّ بعض الحروق تصل إلى العظم لكن هذه الحروق كانت سطحية وتقتصر على تلوُّن الجلد بالسواد.

د شام هناك عدةُ احتمالات سبَّبت القتلَ السببُ الأكثر رجوحًا هو أنّ السمّ الموجود في القذائف تسرَّب إلى الجلد وسَبَّبَ القتل ونحن نستخدم لصقًا كهذه في علاج بعض المرضى، نعطيهم الأدوية بحيث يمتصُّها الجلدُ امتصاصًا. وأغلب الظنّ أنّ المواد السامة تسرّبتْ إلى الجلد لا إلى الجهاز التنفُّسي، الأمر الذي تسبَّب بالموت. وهذه ملاحظات هامة لأنّه لا توجد أيُّ جروح أو إصابات

محمود زيدان — إشارة النصر وسط الدمار (القليْلة)

د. شام: ظننتُ أنّ هناك موادَّ كيميائية، أو موادَّ سامةً في هذه القنابل. فأرسلنا رسالةً إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان وإلى سولانا. كما اتصلنا بأصدقاء لنا في أستراليا وبلجيكا، وأخبرناهم بذلك وقامت الصحف والتلفزيونات بتصوير الجثث

د. علي: في العشرين من شهر تموز، طُلِبَ منّا أن نرسل «خزعة» (زرعًا) للفحص للتأكُّد من سبب الوفاة. وكما ذَكَر

قاتلة لتسبِّب الموت وقد اتصلتْ بنا بعضُ المستشفيات، فاكتشفنا أنّ هذه المشاهدات حصلتْ في أماكن أخرى مثل العراق وغزة

*** ما هي نسبة المدنيين بين المصابين؟**

ـ د علي: كلُّهم مدنيون وآخرهم كانت عائلةً بكاملها حاولتْ أنْ تَهْرب من الجنوب في باص صغير تمّ قصفُه

بيروت